التناص وأثره في فهم النص القرآني

إبراهيم محمد أحمد الدسوقي[1]
عبد الغني بن محمد دين[2]
أم هاني بنت عباس[3]
محمد عزيز الرحمن بن زابيدين[4]

ملخص البحث

إن ظاهرة التناص أو تداخل النصوص بكل أشكالها وآلياتها سمة جوهرية من سمات النقد العربي القديم ناقشها علماؤه ، وعالجوها بتفاصيلها التي تتفق مع ثقافتنا العربية ، وإن لم يكن ذلك تحت مسمى التناص الذى يعرفه علماء الأدب والنقد والبلاغة اليوم . يستطيع أي منصف متصفح لكتب الأدب والبلاغة والنقد العربي القديم أن يصل لتلك النتيجة . والكلمة الحكمة ،كما في الحديث ، ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها[٥]. والتناص هو أحد مفاهيم علم النص ، وهو كذلك أحد مصطلحات الثقافة النقدية الغربية الحديثة ، نقول هذا في سياقنا الذي نتحدث فيه الآن ؛ لأن مصطلحنا الذي تقوم عليه هذه الدراسة هو مصطلح مقتبس من الثقافة النقدية الغربية الحديثة ، غير أنه ، وإن كان كذلك ، لم يغب عن وعي علماء العربية إذ تقرر هذا بداية فلنا أن نقول إن هذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على مفهوم التناص بوصفه أحد مفاهيم نحو النص ، وبوصفه كذلك واحدا من

[١] الأستاذ المساعد بقسم اللغويات ورئيس تحرير المجلة العلمية للغة والثقافة، كلية اللغة العربية، جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية (UniSHAMS)، قدح دار الأمان،ماليزيا.

[٢] العميد الأسبق لكلية اللغة العربية ، جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية (UniSHAMS)، قدح دار الأمان، ماليزيا.

[٣] عميد كلية اللغة العربية، جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية (UniSHAMS)، قدح دار الأمان، ماليزيا.

[٤] نائب عميد كلية اللغة العربية، جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية (UniSHAMS)، قدح دار الأمان، ماليزيا.

[٥] (ابن ماجة) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) – سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.٢٦٩/٥.

أهم المصطلحات النقدية في الدراسات الأدبية والنقدية والقرآنية ، ويسعى كذلك للإجابة عن أسئلة مفادها : ما المقصود بمفهوم التناص عند النقاد العرب وغير العرب المعاصرين والقدامى ، و هل يوجد التناص ، بالمفهوم الذي نراه والذي اخترناه من بين مفاهيم كثيرة قد يصل بعضها إلى حد التعارض مع بعضها الآخر ، أقول هل يوجد التناص بالمفهوم الذي نراه في القرآن الكريم ؟ وإذا كان التناص بالمفهوم الذي نراه موجوداً في القرآن الكريم هذا النص المقدس ، فكيف كان هذا الوجود ؟ وما آلياته ؟ وهل هناك تناص بين النص القرآني والحديث النبوي ؟ وما الشكل الذي يظهر عليه هذا التناص ؟ لذلك آثرت في البداية ، وقبل الخوض في الإجابة عن الأسئلة التي طرحناها هنا في هذا البحث ومنها هل ثمة وجود للتناص في النص القرآني الكريم ، وما الكيفية التي يوجد عليها التناص في القرآن الكريم ؟ ، إن كان ثمة وجود للتناص في هذا النص المقدس ، أقول أود ، قبل هذا كله وغيره ، أن أشير إشارة سريعة في هذا المقام إلى التعريف الذي أرتضيه لهذا المصطلح النقدي ، واختيار التعريف الذي نراه مناسبا ومتفقا ومتسقاً مع ثقافتنا العربية والإسلامية ؛ لذلك جاء هذا البحث في تمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة . أما المبحث الأول فجاء بعنوان : مفهوم التناص بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ، وأما المبحث الثاني فجاء بعنوان : التناص في القرآن الكريم، وأما المبحث الثالث فجاء بعنوان : التناص بين القرآن والحديث النبوي ، ثم تأتي الخاتمة والنتائج و المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية: التناص، التلميح، التضمين، الاستدعاء، السرقة الشعرية

Abstract

This research seeks to answer the question: Is there harmony, in the sense that we see in the Qur'anic text? And What is the concept of convergence? And if the analogy exists in this sacred text How was this and what mechanisms? The research has proved the existence of harmony in the Qur'anic text This has been demonstrated by various mechanisms and forms The research followed the descriptive analytical approachIs there a contradiction between the Holy Quran and the Prophet's Hadith, and if the answer is proof, how did this contradiction occur?

تمهيد

النص جسد واحد ، أو هكذا ينبغي أن يكون ، والتناص تداخل بين النصوص ، أو بين أجزاء النص الواحد، وهو سمة رئيسة من سمات النص متى التفت القارئ للنص إليها أوضحت له الكثير من جوانب النص التي قد تخفى على غيره : " ولئن كان مفهوم جسدية النص وكونه كائنا حيا ومركبا هو لب الفكرة فيما نقوله عن نصوصية النص ، فإن هذه الجسدية لا تقوم على عزل النص عن سياقاته الأدبية والذهنية ، وذلك لأن العمل الأدبي يدخل

في شجرة نسب عريقة وممتدة تماما مثل الكائن البشري ، فهو لا يأتي من فراغ كما إنه لا يفضي إلى فراغ ، إنه نتاج لغوي أدبي لكل ما سبقه من موروث أدبي.[٦]

والقارئ للنصوص العربية يجد ذلك واضحا متمثلا أمامه في جل ما يقرأ ، وقد كان لي من قبل وقفات مع النصوص في علاقات النص مع ما قبله من نصوص على أساس أن مفهوم تداخل النصوص هو من المفهومات الأساسية في قراءة النص وتحليله بما يعني أنني أتعامل مع النص على أنه بنية مفتوحة على الماضي مثلما أنه وجود حاضر يتحرك نحو المستقبل ، وهذا يناهض فكرة البنية المغلقة على الآنية.[٧]

والتناص ، بآلياته المختلفة ، هو آلية مهمة من آليات فهم النص وقراءته وتفسيره ، وعلى قارئ النص أن يفهم ذلك حال تعامله مع النصوص وإلا غاب عنه كثير من جوانب النص ، فالشاعر عادة ما "يطوف عبر الزمان والمكان ويستحضر من التراث ما يناسب مضمون نصه ، ويتسق مع دلالة ما يريد ، ويوظف استحضاره بما يملك من مخزون ثقافي ومعرفي ، ونحن لا نبدع المستقبل إلا في لحظة تتصل جوهريا بالأمس والآن.[٨]

وللتناص دور كبير في فهم النص وإيضاح معناه ، وقد يقع التناص بين أجزاء نص واحد، وقد يقع بين نصوص مختلفة ، وقد يقع في قصيدة واحدة ، و قد يقع بين قصيدتين لشاعر واحد أو لشاعرين ، وقد يقع في سورة من سور القرآن الكريم ، وقد يقع بين سورتين من سوره ، وقد يغمض موقف ما في سورة ما فيوضحه التناص في موقف آخر ذكر في سورة أخرى وهكذا .

مفهوم التناص بين الثقافة العربية والثقافة الغربية:

يتطلب مصطلح التناص أو أي مصطلح نقدي النظر إليه في ضوء الثقافة العربية للوصول إلى فهم حقيقي له، ففهم مصطلح التناص أو أي مصطلح نقدي بمعزل عن الشعر والثقافة العربية وسائر المصطلحات جدير ببعض الشك ... فالمصطلح ينبغي ألا يحبس في غرف ضيقة. الثقافة العربية منزل واسع ذو غرف كثيرة، لكل غرفة طابع، ولكن الغرف ينفذ بعضها على بعض. الجزء ينتمي إلى مجموع واحد.[٩]

[٦] عبد الله الغذامي: **ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية** ، ط ٢، الكويت، دار سعاد الصباح ، ١٩٩٣. ١١١بتصرف.

[٧] المصدر السابق، ص١١٣.

[٨] أدونيس ،**زمن الشعر**، دار العودة–بيروت–١٩٨١، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، ص١٢٢.

[٩] مصطفي ناصف، **النقد العربي نحو نظرية ثانية**، عالم المعرفة، ٢٥٥، الكويت، مارس، ٢٠٠٠، ص٩.

إذا تقرر هذا ، فما المقصود بمفهوم التناص في الثقافة العربية والثقافة الغربية ؟ ، وهل عرف علماء العرب القدامى بلاغيين ومفسرين وأصوليين مفهوم التناص ؟ ، وإذا كانوا قد عرفوه، فهل عرفوه بهذا الاسم نفسه أو كانت لهم مفرداتهم الخاصة التي عبروا بها عنه؟ وما مفهومه وآلياته عندهم ؟ .

والحقيقة إنه يوجد كثير من الإشارات في الأدب العربي وكتب البلاغة النقدية تدل على أن النقاد والبلاغيين العرب قد فصَّلوا القول في هذه القضية وإن لم يسموها باسمها،وتناولوا مفردات ومصطلحات تدخل في حيز مصطلح التناص ، ولكن قبل الإشارة إلى ذلك ، وقبل ذكر الأدلة التي تؤيد استخدام النقاد العرب لهذا المصطلح يجب علينا أن نوضح مفهومه في الثقافة الغربية أولا إذ إنه قد ظهر هناك، فما مفهوم التناص عند النقاد الغربيين؟.

التناص عند النقاد الغربيين

كثرت تعريفات مصطلح التناص كثرة وصلت إلى حد التناقض والتعارض أحيانا ؛ وسنعرض فيما يلي لبعض هذه التعريفات الكثيرة ثم نختار من بينها ما نراه مناسبا مع ثقافتنا العربية.

فإذا ذهبنا إلى جوليا كرسيتيفا وجدنا التناص عندها عملية تقاطع وتداخل بين النصوص إذ إنه "ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديد مقتطعة من نصوص أخرى."[١٠] وهي تؤكد هذا بقولها عن النص "إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى."[١١]

وقد اعتبر هذا التحويل عند غيرها الأساس الأول لكل تفكير في هذا السياق ، فعرف التناص بقوله : إنه " تشرب لعدة نصوص يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى."[١٢]

والتناص عند جوليا كريستيفا أيضا "هو أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عليها أومعاصرة لها ... ويكون النص طبقات جيولوجية كتابية تتم عبرإعادة استيعاب غير محدد لمواد النص بحيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي عبارة عن تحويلات لمقاطع مأحوذة من خطابات أخرى داخل مكون أيديولوجي شامل."[١٣]

---

[١٠] جوليا كريستيفا، **علم النص**، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدر البيضاء، المغرب ط٢، ص٢١.

[١١] عبد العزيز حمودة، **الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص**، عالم المعرفة ع ٢٩٨، الكويت ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م، ص١٥.

[١٢] عبدالقادر بقشي، **التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية**،ترجمة د.محمد العمري، أفريقيا الشرق – المغرب،٢٠٠٧.ص١٥.

[١٣]) سعيد علوش ، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، دار الكتاب اللبناني –بيروت،سوشبريس – الدار البيضاء، ط١ ،١٩٨٥م .ص٢١٥.

أما التناص عند دي بوجراند فيتضمن " العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة."[١٤]

وهذا آخر لا يذهب بعيدا عما ذهبت إليه جوليا كريستيفا ، فكل نص عنده هو" تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة ، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى ... فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة."[١٥]

وهذا ثالث يذهب إلى أن "كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى."[١٦]

وقالوا كذلك إن "كل ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى" هو تناص.[١٧]

وهو ظاهرة لغوية"يعتمدفي تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح.[١٨]

أما رولان بارت فالنص عنده " ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة "[١٩]

وهو بهذا لا يختلف كثيرا عن سابقيه في تعريفه للتناص غير أنه يختلف عنهم بتوضيح تعريفه السابق بقوله:" إن كل نص هو تكرار للنصوص ، فالنصوص الأخرى حاضرة فيه على مستويات مختلفة، وفي أشكال يمكن التعرف عليها تقريبا، نصوص الثقافات السابقة والمحيطة. إن أي نص نسيج جديد من مقتطفات سابقه." .[٢٠]

وهذا آخر يذكر أن التناص صفة رئيسة من صفات النص تتمثل في أنه : " ليس ذاتا مستقلة أو مادة موحدة ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى.[٢١] " ، فهؤلاء جميعا يتفقون على أن التناص هو قدر كل نص على نحو من الأنحاء.

---

[١٤]) دي بوجراند ،**النص والخطاب والإجراء** ،ترجمة د. تمام حسان ،عالم الكتب ، ط١ ،١٤١٨هـ ١٩٩٨م.ص١٠٤.

[١٥]) مجموعة من المؤلفين،**آفاق التناصية: المفهوم والمنظور**– ترجمة محمد خير البقاعي– الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ١٩٩٨ .ص٤٢.

[١٦]) مارك انجينو ، **آفاق التناصية** ، **بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره** ، مقال ضمن كتاب آفاق التناصية ، المفهوم والمنظور ، ترجمة د محمد خيري البقاعي،ص٦٤.

[١٧]) جيرار جينت ، **طروس الأدب على الأدب** مقال ضمن كتاب : **آفاق التناصية المفهوم والمنظور** ص١٣٢.

[١٨]) محمد مفتاح ،**تحليل الخطاب الشعري، استرتيجية التناص** ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ،ط٢، ١٩٨٦، ص١٣١.

[١٩]) رولا بارت ، **من العمل إلى النص** ، مقال ضمن كتاب **آفاق التناصية**، ص٤٢.

[٢٠]) عبد العزيز حمودة، **الخروج من التيه ، دراسة في سلطة النص** ، عالم المعرفة ع ٢٩٨، الكويت ١٤٢٤هـ ،٢٠٠٣م،ص١٥.

[٢١]) عبد الله محمد الغذامي ،**الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٩م،ص١٥.

هذا ، وليس التناص هو المصطلح الوحيد المعبر عن ظاهرة التداخل بين النصوص هذه ، فقد" تعددت المصطلحات المعبرة عن مفهوم التناص ، إذ عُرف بتداخل النصوص، وتعالق النصوص، وتوارد النصوص أو تفاعلها، والحوار بين النصوص، والتناص والنصية، والنص الغائب، والحوارية، والتناص"[٢٢]، وغير ذلك .

وعلى أية حال فإن كل هذه التعريفات السابقة تسعى إلى التأكيد على أن التناص هو تكرار وتداخل وتقاطع بين النصوص أو لوحة من الاقتباسات ، أو سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى، أو نسيج من استشهادات سابقة، فليس يخلو نص من النصوص ، حسب هذه الآراء التي سقناها فيما سبق عن ماهية التناص، من التماس مع نصوص أخري بشكل من الأشكال.

التناص عند النقاد والبلاغيين العرب:

لم تغب ظاهرة التناص ، بآلياتها المختلفة ، عن مباحث النقد العربي القديم ، بل يوجد في كلام النقاد العرب ما يدل على معرفتهم بآليات هذا المصطلح النقدي واستيعابهم لقضية التناص أو التداخل بين النصوص أو التعالق بين النصوص ، أو سمها ما شئت ، فقد ناقشوها ، وعالجوها ، وفصلوا القول فيها ضمن مجموعة من المباحث النقدية ، كالتلميح والتضمين ، والسرقات الأدبية.

ولا يستطيع منصف عالم بكلام العرب أن ينكر أنهم أشاروا إلى ما يعرف اليوم بمصطلح التناص أو تداخل النصوص ، وقد جاء ذلك في كلامهم ،كما ذكرنا، تحت عناوين ومباحث مختلفة .

وإذا تتبعنا كثيرا مما وجه من اتهامات للشعراء بالسرقة في قضية السرقات الشعرية وجدناه يدخل ضمن ما يسمى اليوم بالتناص ، ولعل أفضل أو أنضج ما قيل من رأي في هذه القضية رأي صاحب الوساطة إذ يقول ، عند حديثه عن قضية السرقات الشعرية ، وإشارته إلى أنه ليس كل تأثر بين شاعرين يعد سرقة ، يقول : " ومتى أنصفتَ علمت أن أهل عصرِنا، ثم العصر الذي بعدنا أقربُ فيه الى المعذرة، وأبعد من المذمّة؛ لأن من تقدّمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها ؛ وإنما يحصل على بقايا : إما أن تكونَ تُرِكت رغبةً عنها، واستهانةً بها، أو لبعدِ مطلَبها، واعتياص مرامها، وتعذّر الوصول إليها ؛ ومتى أجهَد أحدُنا نفسَه، وأعمل فكرَه، وأتْعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنّه غريباً مبتدَعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفّح عنه الدواوين لم يُخطِئه أن يجدَه بعينه ، أو يجد له مثالاً يغضّ من حُسنِه؛ ولهذا السبب أحظر على نفسي، ولا أرى لغيري بتّ الحكم على شاعر بالسرقة...إلا أني إذا وجدتُ في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا

[٢٢]) علي كريم عيدان،**خمريات أبي نواس،دراسة في علم اللغة النصي**،(ماجستير)،إشراف:وسام مجيد جابر البكري، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ص١١٥.

أثبته بعينه، ومسروقاً لا يتميز لي من غيره، وإنما أقول: قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا، فأغتنم به فضيلةَ الصدق، وأسلم من اقتحام التهوّر".[٢٣]

ومنه ما ذكره، صاحب حلية المحاضرة،من أن كلام العرب " ملتبس بعضه ببعض، وآخذ أواخره من أوائله، والمبتدع منه والمخترع قليل ، إذا تصفحته وامتحنته، والمحترس المتحفظ المطبوع بلاغة وشعراً من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون كلامه آخذاً من كلام غيره ، وإن اجتهد في الاحتراس، وتخلل طريق الكلام،وباعد في المعنى، وأقرب في اللفظ ، وأفلت من شباك التداخل ...ومن ظن أن كلامه لا يلتبس بكلام غيره، فقد كذب ظنه، وفضحه امتحانه، ... ولو نظر ناظر في معاني الشعر والبلاغة ، حتى يخلص لكل شاعر وبليغ ما انفرد به من قول، وتقدم فيه من معنى لم يشركه فيه أحد قبله ولا بعده، لألفى ذلك قليلاً معدوداً ، ونزراً محدوداً [٢٤].

آليات التناص:

استدعاء الشخصيات التراثية:

للتناص آليات مختلفة منها استدعاء الشخصيات التراثية ، وهو آلية من أهم آليات التناص التي تجعل الشاعر يصل الماضي بالحاضر ، وهذه الآلية " يجب أن تكون مندمجة ومتفاعلة مع بنية النص بمستوياته المختلفة وفقا لدلالته الكلية ، فالشاعر يملك آليات استدعاء متعددة يتخير منها ما يتلاءم مع بنية النص بحيث يكون لآلية الاستدعاء نفسها دور دلالي داخل السياق."[٢٥]

ويمكننا أن نمثل لاستدعاء الشخصية التراثية بالدور الذي قامت به في قول الشاعر أمل دنقل في قصيدة "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" عندما استدعى دور عنترة العبسي واستعرض أعماله الموكلة له داخل القبيلة كونه أحد عبيدها:

ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان
أجتزُّ صوفها
أردُّ نوقها

---

٢٣) الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) **الوساطة بين المتنبي وخصومه** ،١/٢١٤-٢١٥.

٢٤) علي محمد بن الحسن تحقيق د جعفر الكتاني ، **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٧٩ م.ص٨٩.

٢٥) علي عشري زايد،**استدعاء الشخصيات التراثية** ،القاهرة دار غريب٢٠٠٥.ص٢٠.

أنام في حظائر النسيان

طعاميَ: الكسرة.. والماء وبعض التمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكماةُ والرماةُ والفرسانْ

دُعيت للميدان

أنا الذي ما ذُقت لحمَ الضأن

أنا الذي لا حولَ لي أو شأنْ

أنا الذي أُقصِيت عن مجالس الفتيانْ

أُدعى إلى الموت ولم أُدع إلى المجالسة.[٢٦]

" وقد تناسبت آلية الاستدعاء هنا تناسبا واضحا مع دلالة السياق ؛ لأن الاسم المباشر لعنترة بن شداد يحظى بقدر كبير من صفات العزة والشرف لا تتناسب مع عالم العبودية والذل الذي يلح الشاعر على تصويره ،كما أن ذكر قبيلة عبس مصاحبا لدور العبودية في قوله: ظللت في عبيد عبس يوحي بأن دور العبودية دور مخصص لعامة الشعب وليس مقصورا على عنترة وحده."[٢٧]

التضمين:

ويعد التضمين كذلك آلية مهمة من آليات التناص التي تساعد على قراءة النص وتفسيره ، وقد عرفه علماء البلاغة بقولهم: إن التضمين" هو أن يضمن الشاعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا"[٢٨]،وقد يكون التضمين تمضينا للألفاظ والتراكيب ، وقد يكون تضمينا للمعنى نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره ... هذا شباب لعمر الله مصنوع

أذكرتني قول ذي لب وتجربة ... في مثله لك تأديب وتقريع

---

[٢٦]) أمل دنقل ،**الأعمال الكاملة**، دارالشروق ط١ : ٢٠١٠ ،ط٢ ،٢٠١٢.ص٩٧-٩٨.

[٢٧]) أحمد مجاهد ،**أشكال التناص**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.ص١٨٩.

[٢٨]) (ابن المعتز) أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)،**البديع في البديع**، الناشر: دار الجيل.ص٣٨.

إن الجديد إذا ما زِيد في خَلَقٍ ... تبيَّن الناس أن الثوب مرقوع "[٢٩]

يقول ابن رشيق القيرواني :" فهذا جيد في بابه ... ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجيباً، لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في المعنى ، وهذا عند الحذاق أفضل التضمين، فإنما احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له:

لا ذنب لي إن ساء ظنك بعدما ... وفيت لكم ، ربي بذلك عالم

وها أنا ذا مستعتب متنصل .... كما قال عباس وأنفي راغم

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوماً فقل: أنا ظالم [٣٠] .

التلميح:

والتلميح كذلك آلية من آليات التناص ، ووسيلة من وسائل تفسيره، و هو أن يشير الشاعر أو الكاتب " في فحوى الكلام إلى مثل سائر، أو بيت مشهور، أو قضية معروفة من غير أن يذكره، كقول الشاعر:

المستغيث بعمرو عند كربته ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أشار إلى قضيّة كليب حين استغاث بعمرو بن الحارث "[٣١]

ومنه تلميح أبي تمام، بقوله متغزلًا، في بعض قصائده، وقد سفرت محبوبته من جانب الخدر ليلًا:

فردت علينا الشمس والليل راغم ... بشمس لهم من جانب الخدر تطلعُ

فوالله ما أدري أأحلامُ نائمٍ ... ألَمَّتْ بنا أم كان في الركب يوشعُ

ففيه تلميح إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام حين خاطب الشمس للتوقف عن الغروب بعض الوقت.[٣٢]

ومنه قول ابن المعتز:

أترى الجيرة الذين تداعوا ... عند سير الحبيب وقت الزوال

---

[٢٩]) ابن رشيق القيرواني أبو على الحسن الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل،٢/٨٤.و(الثَّوْبُ الخَلَقُ، الَّذِي يُبْتَذَلُ).

[٣٠]) المصدر السابق٢/٨٥.

[٣١]) النويري) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)،**نهاية الأرب في فنون الأدب**، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.١٢٧/٧.

[٣٢]) ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)،**خزانة الأدب وغاية الأرب**، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت ،الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م،١/٤١٤.

علموا أنني مقيم وقلبي ... راحل فيهم أمام الجمال

مثل صاع العزيز في أرحل القو... م ولا يعلمون ما في الرحال

و هذا التلميح فيه إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام، حين جعل الصاع في رحل أخيه، وإخوته لم يشعروا بذلك. [٣٣]

تفصيل المجمل:

قد يكون تفصيل المجمل نوعاً من أنواع التناص الذي يفسر النص ويوضحه خاصة إذا كان الإجمال في نص ،والتفصيل في نص آخر، كأن يكون الإجمال في سورة من سور القرآن والتفصيل في سورة أخرى ، هذا باعتبار السورة نصًّا والسورة الأخرى نص آخر،أو كأن يكون الإجمال في حديث نبوي والتفصيل في حديث نبوي آخر ، أو كأن يكون الإجمال في موضع من النص ،والتفصيل في موضع آخر منه،كأن يكون التفصيل في موضع من مواضع النص القرآني والإجمال في موضع آخر منه وهكذا.

تقييد المطلق:

وقد يكون تقييد المطلق نوعاً من أنواع التناص الذي يفسر النص ويوضحه خاصة إذا كان النص المطلق في نص ، وتقييده في نص آخر ، كأن يكون النص المطلق في سورة من سور القرآن الكريم وتقييد هذا النص في سورة أخرى ، هذا باعتبار السورة نصًّا والسورة الأخرى نص آخر ، أو كأن يكون النص المطلق في حديث نبوي وتقييده في حديث آخر ، أو كأن يكون النص المطلق في موضع من النص وتقييده في موضع آخرمنه ،كأن يكون النص المطلق في موضع من مواضع النص القرآني وتقييده في موضع آخر منه وهكذا ، "وَلَيْسَ تَقْيِيدُ الْمُطْلَقِ رَفْعًا لِظَاهِرِ اللَّفْظِ بَلْ ضَمُّ حُكْمٍ آخَرَ إلَيْهِ وَهَذَا مَسْلَكٌ حَسَنٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَنَظَائِرِهِ "[٣٤].

تفسير النص:

قد تحتاج بعض التراكيب في النص القرآني إلى الإيضاح ، وقد يبدو بعضها متعارضاً لغير الناظر المدقق المتأمل ، ولاتتضح مثل هذه التراكيب ، ولا يُرفع عنها ما قد يبدو من تعارض ظاهر إلا بالنظر إلى النص القرآني كله بوصفه جسداً واحداً ، وقد يكون تفسير الغامض نوعاً من أنواع التناص ، كأن يكون الغموض في موضع من النص

[٣٣]) ابن حجة الحموي ، **خزانة الأدب وغاية الأرب**،١/٤٠٦.

[٣٤]) (ابن تيمية) الحراني الحنبلي الدمشقي،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد (المتوفى: ٧٢٨هـ)،**مجموع الفتاوى**، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م،١٦/٧٩.

وتفسيره في موضع آخر منه ، أو كأن يكون الغموض في نص وتفسيره في نص آخر مرتبط به . وعلى أية حال فللتناص في هذا إيضاح مثل هذه المسائل وتبيينها الحظ الأوفى .

الاستطراد:

لم يقتصر بعض النقاد العرب على جعل الاستطراد آلية من آليات التناص ، وإنما جعل بعضهم التناص مرادفا للاستطراد ، يقول : "إن ظاهرة تداخل النصوص هي سمة جوهرية في ثقافة الإنسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل ولقد شاع تسمية ذلك بالاستطراد، وهذا ما توصف به مؤلفات الجاحظ ولكن الحق أن ذلك التداخل نصوصي له ما يسوغه من النصوص نفسها .[٣٥].

التناص وأثره في فهم النص القرآني :

التلميح :

من آليات التناص الواضحة في النص القرآني التلميح ،وقد أشار إلى ذلك بعض النقاد العرب ومنهم صاحب الطراز لأسرار البلاغة،ويذكر من ذلك قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ" [العنكبوت: ٤١] يشير بذلك إلى المثل السائر: أرقّ من نسج العنكبوت، وأضعف من بيتها، وكقوله تعالى: " كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً" [الجمعة: ٥] يشير به إلى قولهم فى الأمثال السائرة: أجهل من حمار، وأبلد من عير، وقوله تعالى:" يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ " [القارعة ٤] يشير إلى قولهم: أعظم تهورا من فراشة، وقوله تعالى:"فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ" [الأعراف: ١٧٦] يشير به إلى قولهم: فلان ألهث من كلب".[٣٦].

ومن ذلك قوله تعالى:" وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ "[العنكبوت ٣٨-٤٠] وَقَدْ أَشَارَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ إِلَى إِهْلَاكِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، ثُمَّ صَرَّحَ بِأَنَّهُ أَخَذَ كُلًّا مِنْهُمْ بِذَنْبِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ"، يَعْنِي: ثَمُودَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهِمْ: "وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا

[٣٥]) عبد الله الغذامي ، **ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية** , ص١١٩-١٢٠.

[٣٦]) يحي بن حمزة العلويّ (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**،الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ،٩٧/٣.

فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ" [هود: ٦٧ – ٦٨] . وَقَوْلُهُ: "وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ"، يَعْنِي: قَارُونَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهِ: "فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ الْآيَةَ "[القصص: ٨١] . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا"، يَعْنِي: فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: "ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ "[الصافات: ٨٢] ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.[٣٧]

تفصيل المجمل:

ومن تفصيل المجمل بوصفه آلية من آليات التناص التي تسهم في قراءة النص القرآني وتفسيره ومن ذلك:" قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[البقرة ١٩٦] لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا هَذَا الَّذِي يَقُولُونَهُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنَّهُ فَصَّلَهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، فَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي يَقُولُونَهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ هُوَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْبَحَائِرَ وَالسَّوَائِبَ وَنَحْوَهَا، وَأَنَّ لَهُ أَوْلَادًا، وَأَنَّ لَهُ شُرَكَاءَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا – فَصَرَّحَ بِأَنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) [المائدة: ١٠٣] ، وَقَوْلِهِ: (وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ) [الأنعام ١٤٠] ، وَقَوْلِهِ: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) الْآيَةَ [يونس ٥٩] ، وَقَوْلِهِ: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ) [النحل: ١١٦] ...فَظَهَرَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ تَفْصِيلُ (مَا) أُجْمِلَ فِي اسْمِ الْمَوْصُولِ الَّذِي هُوَ (مَا) مِنْ قَوْلِهِ: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).[٣٨]

تقييد المطلق:

وتقييد المطلق أيضا يعد آلية من آليات التناص التي تسهم في قراءة النص القرآني وتفسيره ، ومن ذلك " قَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران: ١١٣] {يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران: ١١٤] فَهَذِهِ الْآيَةُ تَتَنَاوَلُ الْيَهُودَ أَقْوَى مِمَّا تَتَنَاوَلُ النَّصَارَى وَنَظِيرُهَا قَوْلُهُ – تَعَالَى –: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف: ١٥٩] **وَهَذَا مَدْحٌ مُطْلَقٌ عام مقيد بشرط** هوْ التَمَسَّكَ بِالتَّوْرَاةِ لَيْسَ

---

[٣٧]) (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ،**دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، الناشر : مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز — جدة، الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ، ١٥٩/٦.

[٣٨]) (الشنقيطي) ، **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب** ، ١٥٩.

فِي ذَلِكَ مَدْحٌ لِمَنْ كَذَّبَ الْمَسِيحَ وَلَا فِيهَا مَدْحٌ لِمَنْ كَذَّبَ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...ولذلك ذكرهم الله تعالى بقوله قبل ذلك{وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران:١١٠]، فَقَدْ جَعَلَهُمْ نَوْعَيْنِ نَوْعًا مُؤْمِنِينَ وَنَوْعًا فَاسِقِينَ وَهُمْ أَكْثَرُهُمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ" يَتَنَاوَلُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُؤْمِنًا قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَمَا يَتَنَاوَلُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً} [الحديد: ٢٧] إلَى قَوْلِهِ: وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ"[٣٩]

ويقال مثل هذا في قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠] ، فوصف أمة الإسلام هنا بالخيرية وبأنها خير أمة أخرجت للناس هو وصف مطلق مقيد بشرط ذُكِر في الآية نفسها ، وذاك قوله تعالى" تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}.

ومن الكلام المطلق العام المقيد بشرط قوله: {لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} لم يُذكر هنا استثناء؛" فإن أحداً لا يملك من الله خطاباً مطلقاً؛ إذ المخلوق لا يملك شيئاً يشارك فيه الخالق، كما في قوله: {وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ} [الزخرف: ٨٦] ، وهو عام مطلق، فإن أحداً ممن يدعى من دونه لا يملك الشفاعة بحال، ولكن الله إذا أذن لهم شفعوا من غير أن يكون ذلك مملوكاً لهم، وكذلك قوله: {لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} هذا قول السلف وجمهور المفسرين.[٤٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا} [النحل: ٣٦] **كَلَامٌ مُطْلَقٌ عَامٌّ** كَقَوْلِهِ: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤] وكقوله:" وَقَوْلِهِ: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد: ٧] .

وهذا الكلام المطلق العام مقيد بكلام آخر كذلك ورد في كتاب الله الْقُرْآنُ الكريم فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مُصَرِّحَةٍ بِنَفْيِ أَصْلِ النَّذِيرِ عَنْ بعض الناس،" كَقَوْلِهِ: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ [يس: ٦] .وَقَوْلِهِ:" أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ."[السجدة /٣].وَقَوْلِهِ: وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ [القصص، ٤٦] .وَقَوْلِهِ: وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ [سبأ ٤٤] ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي هذه الآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَقْوَامِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَادٍ، سَوَاءٌ فَسَّرْنَا الْهُدَى بِمَعْنَاهُ الْخَاصِّ أَوْ بِمَعْنَاهُ الْعَامِّ، فَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَادٍ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ، قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ [الأنعام/ ١١٦] ، فَهَؤُلَاءِ الْمُضِلُّونَ لَمْ يَهْدِهِمْ هَادٍ الْهُدَى الْخَاصَّ، الَّذِي هُوَ التَّوْفِيقُ، لِمَا يُرْضِي

---

[٣٩]) (ابن تيمية) الحراني الحنبلي الدمشقي،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد (المتوفى: ٧٢٨هـ)، -**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز ابن إبراهيم – حمدان بن محمد ، الناشر: دار العاصمة، السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.٢/٢١٠-٢١١.

[٤٠] ابن تيمية،الحسنة والسيئة،١/١٤٦.

اللَّهَ، وَنَظِيرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ [هود/ ١٧] ، وَقَوْلُهُ: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [يوسف/ ١٠٣] ، وَقَوْلُهُ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [الشعراء/ ٨] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَقْوَامِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَادٍ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ، الَّذِي هُوَ إِبَانَةُ الطَّرِيقِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ [الروم ٦] ، بِنَاءً عَلَى التَّحْقِيقِ مِنْ أَنَّ «مَا» نَافِيَةٌ لَا مَوْصُولَةٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ الْآيَةَ [المائدة/ ١٩] .

فَالَّذِينَ مَاتُوا فِي هَذَا الْفَتْرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَادٍ بِالْمَعْنَى الْأَعَمِّ أَيْضًا."[٤١]

تفسير النص :

ذكرنا قبلُ أن تفسير الغامض أو إزالة ما قد يبدو في النص من تعارض ظاهر،قد يكون آلية من آليات التناص،فقد يكون جانب من جوانب النص غامضاً مبهماً يحتاج إلى إيضاح،فيقوم جانب آخر منه قريب أو بعيد بإيضاح ذلك الجانب المبهم وتبيينه. وقد تبدو بعض النصوص لغير المتأمل متعارضة خاصة إذا نظر إليها بمعزل عن أجزائها الأخرى المرتبطة بها ،وفي إيضاح مثل هذه القضايا وتفسيرها يكون للتناص الدور الأبرز.

من ذلك مثلا في النص القرآني: تحديد طرفي الحوار في قوله تعالى:"وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ * قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ * قالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا إِنَّا لَذائِقُونَ * فَأَغْوَيْناكُمْ إِنَّا كُنَّا غاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ " [الصافات/٢٧-٣٣] ، فالطرف الأول الكفار والطرف الثاني هم الشياطين بدليل قول الطرف الأول،وهم الكفار من بني آدم" إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ" وقول الطرف الثاني وهم الشياطين "وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ"،وهذا نعرفه مما حكاه الله تعالى في موضع آخر من كتابه على لسان الشيطان"وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم"[إبراهيم/٣٢] .وعلى هذا النحو يفسر التناص الواقع بين أجزاء النص القرآني كثيرا من القضايا القرآنية التي تحتاج إلى إيضاح.

التناص بين القرآن الكريم والحديث النبوي:

[٤١]) الشنقيطي ، **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**/ ١٣٨،١٢٤بتصرف يسير.

قد نرجع في تفسيرنا لنص من نصوص القرآن الكريم إلى حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا نوع من التناص بين القرآن والحديث. من ذلك مثلا:"قَوْلُهُ تَعَالَى: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بغير علم" [النحل/٢٥].

فهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً، وَيَحْمِلُونَ أَيْضًا مِنْ أَوْزَارِ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ ،وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ أُخَرُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ وِزْرَ غَيْرِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى" [فاطر/١٨] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" [الأنعام/١٦٤] وَالْجَوَابُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ مَا حَمَلُوا إِلَّا أَوْزَارَ أَنْفُسِهِمْ، لِأَنَّهُمْ تَحَمَّلُوا وِزْرَ الضَّلَالِ وَوِزْرَ الْإِضْلَالِ، ففي الحديث: "فَمَنَّ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا"[٤٢] ؛ لِأَنَّ تَشْرِيعَهُ لَهَا لِغَيْرِهِ ذَنْبٌ مِنْ ذُنُوبِهِ فَأُخِذَ بِهِ.

والله سبحانه وتعالى حث في كتابه الكريم على التواضع وعدم التكبر وذم المتكبرين فقال تعالى :" إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ" النحل من الآية/٢٣.وقال :" فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ" النحل من الآية /٢٩.فبين هذه الآيات وبعض الأحاديث تناص تفسير بحيث يفسر بعضها بعضافيتضح مراد الشرع بالكبر.

ففي الحديث :" عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ قَالَ: «مَنْ وَضَعَ وَجْهَهُ لِلَّهِ سَاجِدًا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْكِبْرِ»٤٣،وفيه كذلك " عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْكِبْرِ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ»٤٤ وفيه :" عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي غَسِيلًا، وَرَأْسِي دَهِينًا، وَشِرَاكُ نَعْلِي جَدِيدًا،

---

[٤٢]) (النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (المتوفى: ٣٠٣هـ)، السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦،٥/٧٥.وانظر:
الشنقيطي:**دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، ص١٨٦.

[٤٣] علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، **مسند ابن الجعد**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ – ١٩٩٠،١/٢٦٤

٤٤ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ)
،**مسند إسحاق بن راهويه**، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١،١/٣٧٥.

وَذَكَرَ أَشْيَاءَ ، حَتَّى ذَكَرَ عِلَاقَةَ سَوْطِهِ، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " لَا، ذَاكَ الْجَمَالُ، إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ، وَازْدَرَى النَّاسَ "[٤٥].

الخاتمة والنتائج

١- التناص مصطلح نقدي غربي نشأ في بيئة غير عربية غير أن هذا لا يعني عدم معرفة علماء العربية للقضايا التي يناقشها ،فهم وإن لم يعرفوه بهذا الاسم ، فقد عرفوه تحت مسميات أخرى، فالتناص ، هذا المصطلح النقدي بمفهومه الذي يتفق و الثقافة العربية ، سمة جوهرية من سمات النقد العربي القديم ، عرفه و ناقش قضاياه علماء العربية بلاغيين ولغويين ومفسرين ، وعالجوا هذه القضايا بتفاصيلها التي تتفق مع ثقافتنا العربية، وإن لم يكن ذلك تحت مسمى التناص.

٢- عرف علماء العربية آليات التناص و وناقشوها مناقشة واسعة و منها تفسير نص خاص لنص عام و تفصيل نص مقيد لنص مجمل وغير ذلك من الآليات، فلم يكن مفسرونا بعيدين عن فهم هذا المصطلح حين قرروا أن القرآن الكريم ، هذ ا النص المقدس ، يفسر بعضه بعضا، ولم يكونوا بعيدين عنه كذلك حينما يقولون:إن هذا الحديث النبوي قاله النبي صلى الله عليه وسلم في موقف كذا و يفسره قوله صلى الله عليه وسلم في موقف آخر هو كذا ، ولم يكن لغويونا و بلاغيونا كذلك بعيدين عن فهم هذا المصطلح ومعرفته حينما يقولون إن قول فلان الشاعر في بداية قصيدته يفسره قوله كذا في وسطها أو في آخرها أو أن هذا الشاعر أو ذاك أخذ هذا البيت بلفظه أو أخذ هذا البيت بمعناه من شاعر غيره أو أن هذه العبارة فيها تلميح لقصة كذا إلى غير ذلك من القضايا النقدية التي ناقشوها وتدخل في حيز هذه المسألة.

٣- يدخل التناص ، بمفهومه الذي عرفه علماء العربية ، ليس فقط في النص القرآني ، وإنما يدخل في الشعر و في الحديث النبوي وفي غيره من النصوص وليس في القول بذلك من ضير يعود على النص القرآني.

٤- فهم التناص على النحو الذي يتفق والثقافة العربية فهمٌ يعود على النص ، أيا كان نوعه ، بكثير من الفائدة التي لا يمكن فهم النص بمعزل عنها.

---

٤٥ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م،٣٣٨/٦.

المصادر والمراجع

- أحمد مجاهد ،أشكال التناص، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.
- أمل دنقل ،الأعمال الكاملة، دارالشروق ط١ : ٢٠١٠ ،ط٢ ،٢٠١٢.
- أدونيس ،زمن الشعر، دار العودة–بيروت–١٩٨١، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
- (ابن تيمية) الحراني الحنبلي الدمشقي،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد (المتوفى: ٧٢٨هـ)، -الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد،الناشر: دار العاصمة، السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- (ابن تيمية) الحراني الحنبلي الدمشقي،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد (المتوفى: ٧٢٨هـ)،مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- (الجرجاني)أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الوساطة بين المتنبي وخصومه تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي،الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- جوليا كريستيفا،علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر، الدر البيضاء، المغرب ط٢،
- جيرار جينت ، طروس الأدب على الأدب مقال ضمن كتاب : آفاق التناصية المفهوم والمنظور ص١٣٢.
- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت ،الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م،
- دي بوجراند ،النص والخطاب والإجراء ،ترجمة د. تمام حسان ،عالم الكتب،ط١ ،١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- رولا بارت ، من العمل إلى النص ، مقال ضمن كتاب آفاق التناصية.
- سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني –بيروت،سوشبريس – الدار البيضاء،ط١٤٠٥هـ ،١٩٨٥م .
- (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ،دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الناشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز – جدة، الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- (الشنقيطي)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- عبد الله الغذامي : ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية ، ط ٢ , الكويت , , دار سعاد الصباح , ١٩٩٣.
- عبد الله محمد الغذامي الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٩م .
- عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه ، دراسة في سلطة النص ، عالم المعرفة ع ٢٩٨، الكويت ١٤٢٤هـ ،٢٠٠٣م.
- عبدالقادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية،ترجمة د.محمد العمري، أفريقيا الشرق –المغرب،٢٠٠٧.

- علي عشري زايد،استدعاء الشخصيات التراثية ،القاهرة دار غريب٢٠٠٥.
- علي كريم عيدان،خمريات أبي نواس،دراسة في علم اللغة النصي، (ماجستير) ، إشراف :وسام مجيد جابر البكري، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية.
- علي محمد بن الحسن تحقيق د جعفر الكتاني، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٧٩ م.

-(ابن المعتز) أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)،البديع في البديع، الناشر: دار الجيل.

- ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) –سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- مارك انجينو، آفاق التناصية، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره، مقال ضمن كتاب آفاق التناصية ، المفهوم والمنظور ، ترجمة د محمد خيري البقاعي.
- مجموعة من المؤلفين،آفاق التناصية: المفهوم والمنظور– ترجمة محمد خير البقاعي– الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ١٩٩٨ .
- محمد مصطفى هدارة ،الأبعاد النظرية لقضية السرقات وتطبيقاتها في النقد العربي القديم ،مجلة فصول ،مج ٦، ع١، اكتوبر ١٩٨٢، ص١٢٨.
- محمد مفتاح ،تحليل الحطاب الشعري، استرتيجية التناص ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ،ط٢، ١٩٨٦.
- مصطفي ناصف ، النقد العربي نحو نظرية ثانية ، عالم المعرفة ، ٢٥٥، الكويت، مارس ، ٢٠٠٠.
- (النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (المتوفى: ٣٠٣هـ)، السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية — حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ — ١٩٨٦.

النويري)أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)،نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

-أبو هلال العسكري،(المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) الصناعتين،الكتابة والشعر المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية — بيروت،عام النشر: ١٤١٩ هـ،.

- يحيى بن حمزة العلويّ (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،الناشر: المكتبة العنصرية — بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.